

وكيفيتها التي دلت عليها أفعال الرسول وأقواله - من مظاهر التعظيم التي عرفت مفرقة في أساليب التعظيم التي يقوم الناس بها بعضهم لبعض؛ فالناس يعظم بعضهم بعضا برفع الأيدي، وبالقيام وبالانحناء، وبالسجود، وبالدعاء، وبتترديد أقوالهم... يفعل الناس ذلك كله في تعظيم بعضهم لبعض، وفي تعظيمهم ملوكهم ورؤساءهم وأرباب الجاه والنفوذ فيهم. ولكن لم تجر عادة للناس أن يجمعوا كل تلك الأساليب في تعظيم أحد منهم؛ فشرع في الصلاة اعترافاً بنعمته وعظمته، وجمع في كيفيتها جميع ما تفرق عند الناس من أساليب التعظيم، فجعل افتتاحها باعلان أن أكبر من كل ما يرون تعظيمه، مصحوباً ذلك برفع اليدين معاً على وجه يمثل فيه وضعهما المعنى الذي فسر في القلب حينما ينطق اللسان بكلمة التكبير ثم جعل من أركانها القيام المصحوب بتلاوة آيات من كتابه. وأوجب في كل صلاة، وعلى كل مصلى قراءة ((الفاتحة)) التي تعتبر أم الكتاب، وقد جمعت كل ما تفرق فيه نصاً وإشارة. ثم الانحناء المعروف باسم ((الركوع)) مصحوباً بالتكبير في الانخفاض والرفع. ثم يجيء السجود نهاية لما يتصور من وجوه التعظيم، وبذلك يكون العبد قد وقف من ربه في موضع العبودية الحقة، وكأنه بتنظيم أسلوب تعظيمه على هذا الوجه يلفت نظر المؤمنين إلى أن تعظيمه يجب بمقتضى الإيمان بربوبيته وألوهيته أن يكون فوق كل تعظيم عرفه الناس في تعظيم بعضهم لبعض. وأن هذه الصورة من التعظيم التي رسمها في نفسه لا يصح أن يعظم بها غيره كما لا يصح أن ينتقصها المؤمن أو أن يغير شيئاً من أوضاعها؛ أو أن يزيد فيها، فهو سبحانه المعبود، وهو المعظم، وقد شرع لنا طريق عبادته وأسلوب تعظيمه، وليس لاحد من خلقه أن يفكر أو يستظهر شيئاً غير ما رسم في تعظيمه بزيادة أو نقص.

ولعل هذا هو الأساس الذي بني عليه حظر الابتداع في الدين وفي سبيله كثرت الاحاديث الصحيحة في التحذير من البدع التي ينساق إليها الناس بناء على ما يتصورون من الزيادة في معنى العبودية.